مدارسات في

الهدى المنهاجي



لآية الكرسي

فريد الأنصاري

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

مدارسات في

الهدى المنهاجي

لآية الكرسي

تأليف

فريد الأنصاري

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

الأنصاري ، فريد .
مدارسات في الهدى المنهاجي لآية الكرسي / تأليف فريد الأنصاري . - ط ١ - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠١٢م .
١١٢ ص ؛ ١٧ سم .
تدمك ٢ ٠٣١ ٢١٤ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - القرآن - تفسير .
٢٢٧

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م
تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المتفرع من شارع نور الدين بهجت - الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +)
فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
فاكس : ٢٢٦٣٩٨٦١ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

في مقام التلـقي لأعظم منزلة من منازل العـلم بالله:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾

[البقرة: ٢٥٥].

* * *
* *
*

فِهْرِسُ ٱلْمُحتَوَيَاتِ

الهدى المنهاجي

مسلك التخلق

* * *
* *
*

إهداء

- إلى حُمَّالِ رِسَالاتِ القُرآن..

السَّالِكِينَ بِهَا إلى اللَّه، تَعَبُّدًا وبَلاغًا..

الْمُكَابِدِينَ بِهَا مِحَنَ هذَا الزَّمَان!

- إلى بَلابِلِ اللَّيالِي الْخُضْر..

الْمُرَتِّلَةِ خَوْفَهَا ورَجَاءَهَا بِمَحَارِيبِ السَّحَر!

- إلى طَلائِعِ الْخُيُولِ الغُبْـر..

الْمُورِيَةِ بِسَنَابِكِهَا لَهِيبَ الفَتْحِ الْمُبِين.

سَلامًا وأَمَانًا للعَالَمِين!

- إلى أَجْيَالِ الشَّبَابِ الصَّادِقِ الْمُؤْمِن..

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

إِلَيْكُمْ سَادَتِي..

أُهْدِي هَذِهِ اللَّوعَات..!

خادمكم المحب

فَرِيد الأَنْصَارِي

مُقَدِّمَة

الحمد للَّه الذي أنزل القرآن العظيم « رُوحًا مِن أَمْرِهِ » - جلَّ عُلاه -! وجعله نورًا يُحيي به موات القلوب! ويفرج به ظلمات الكروب! ويمسح به الخطايا، ويشفي به البلايا!

وصلَّى اللَّه وسلم وبارك على البشير النذير، والسراج المنير، سيدنا محمد النبي الأمي، الذي أرسله اللَّه رحمةً للعالمين؛ فلم يزل ﷺ منذ أكرمه اللَّه تعالى بالنبوة الخاتمة - كوكبًا دُرِّيًّا، متوقِّدًا في سماء البشرية إلى يوم الدين! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦]، وإنما أشرق نورُه - عليه الصلاة والسلام- بما أنعم اللَّه عليه من جلال الوحي وجماله: هذا القرآن العظيم! فكان ﷺ بذلك هُدًى للعالمين. ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ

مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

ذلك هو النور..! ولكنْ أين من يرفع بصره إلى السماء..؟ ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠]!!

أما بعد؛

فقد فتح لعباده المؤمنين باب الرحمة، وأَغْدَقَ عليهم وَابِلَ النعمة! وأرشدهم إلى ما به الرُّقي في معارج الدرجات.. إذْ آتاهم - جلَّ ثناؤه - مفتاح التعريف به سبحانه، وفتح لهم معراج الرُّقي إليه، الذي به ينال العلماء علمهم باللَّه، ويكتسبون مقامات الخشية ومنازل التقوى. فجاءت آية الكرسي- التي هي أعظم آية في كتاب اللَّه - تعرض منهاج التعرف إلى اللَّه، وطريق العلم به تعالى، بما لا مثيل له في القرآن كله!

قال جلَّ ثناؤه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

إنها كلمةُ سِرٍّ..! ومفتاحُ كَنْزٍ..! ومشكاةُ نورٍ لا تكاد تطيقُ تَوَهُّجَهُ القلوبُ والأبصار..!

إنها آيةُ العزة، وتَجَلِّي العظمة، ومَكْنَزُ العلم، وتعريف القدرة المحيطة بجميع الملكوت! إنها صَوْلَجَانُ الْمُلْكِ، وبرهان السلطان! كلماتها مَطْرَدَةٌ للشيطان، وتلاوتها كاشفةٌ للكروب والأحزان! إنها حصن الجلال، وسِيمَاءُ الجمال، ومعراج القلب إلى باب الوصال! ومِن ثَمَّ كانت أعظمَ آيةٍ في القرآن! فَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: « يَا أَبَا الْمُنْذِرِ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!

قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: [آيَةُ الكُرْسِيِّ] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ![١] وفي رواية أحمد زيادة صحيحة في آخره: « قَالَ: لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ لَهَا لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ! »[٢].

فما من جملة فيها إلا وهي مفتاح من مفاتيح الكنوز والأسرار..! وقاعدة من قواعد الإيمان العظمى، وأصل من أصول التوحيد. وفيها كلمة السرِّ التي تفتح باب العروج إلى الرحمن، وتكشف الحجاب عن الكنوز المبثوثة في عالم الملك والملكوت!

تلك الكلمة هي: « اسمُ اللَّه الأعظمُ »، الذي إذا دُعِي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى.. إنه

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه: « إسناده صحيح على شرط مسلم ».

جوهرة الأسماء الحسنى: « الحي القيوم » جَلَّ جَلَالُهُ!
فقد روى الإمام التابعي الجليل القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، فِي سُوَرٍ ثَلاَثٍ: الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَهَ** ».
قال القاسم: فالتمستُها فوجدتُ في سورةِ البقرةِ آيَةَ الكُرْسِي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، وفي سورة آل عمران: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ١، ٢]، وفي سورة طه: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ [طه: ١١١](١).

إن عظمةَ آيةِ الكرسي وسِرَّهَا الْمَصُونَ كَامِنٌ في أنها تُلَخِّصُ - فيْ كلمات - حقائق التعريف باللَّه ربِّ العالمين! وتكشف للمؤمن البصير جمال الألوهية، وجلال الربوبية؛ بما يَبْهَتُ

(١) رواه ابن ماجه، والطبراني في الكبير، والحاكم. وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة، وصحيح الترغيب، وصحيح الجامع، وصحيح سنن ابن ماجه.

القلوبَ، ويبهر الأبصار..! ولذلك كانت تتميز بأنها ترسم للعبد منهاج التعرف إلى اللَّه، وطريقة اكتساب صفة العلم به - جلَّ عُلاه -، وتنصب له مدارج السير إليه تعالى، في قواعد كلية، وأصول علمية، هي من أكرم قواعد الدين، وأعظم أصول الإسلام! إنها منهاجٌ عَقَدِيٌّ شامل، وبرنامج تربوي كامل، مكنونٌ في آية واحدة!

ولنبدأ في مُدَارَسة تلك القواعد.

واستخراج ما يسَّر اللَّه من تلك الأسرار..!

القاعدة الأولى

فأما القاعدة الأولى، فهي قوله:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾

وهذه أعظم كلمة في الإسلام على الإطلاق! فهي عنوانه الجامع، وحَدُّهُ المانع. وهي الهُويَّة والقضية، والراية والشعار. وهي أصل الأصول، وأُسُّ الاعتقاد، وأعظم الثناء على اللَّه، وخير ما ورد في التسبيحات والأذكار، عبر كلِّ الأزمنة والأعصار..!

ومعناها راجع إلى إثبات وحدانية الألوهية للَّه الواحد القهار، وتنزيهه عن الشرك والشركاء. لكنَّ لها ذوقًا إيمانيًّا عجيبًا، وأثرًا تربويًّا لطيفًا، يغذِّي الروح، ويزكي النفس، ويغمرها بأحلى المواجيد، وأجمل الأشواق! ذلك أن أصل عبارة: « إله » – كما قررته كتب اللغة والتفسير – راجع إلى معاني الشوق، والحنين، والوجد،

والاستغاثة، والمحبة، والسكينة! جاء في لسان العرب: « وقيل في اسم الباري سبحانه: إنه مأْخوذ من أَلِهَ يَأْلَه: إذا تَحَيَّرَ؛ لأَنَّ العقولَ تَأْلَهُ في عظمته! وأَلِهَ أَلَهًا أَي: تَحَيَّرَ. وأَصلُه: وَلِهَ يَوْلَهُ وَلَهًا. وقد أَلِهْتُ على فلانٍ، أَي: اشتدَّ جَزَعِي عليه، مثل وَلِهْتُ. وقيلَ: هو مأْخوذٌ من أَلِهَ يَأْلَهُ إلى كذا، أَي: لَجَأَ إليه؛ لأَنَّهُ سبحانه المَفْزَعُ الذي يُلْجأُ إليه في كل أَمْرٍ »[١]. وقال الفخر الرازي: « اِشْتِقَاقُهُ مِنْ أَلِهَ الفَصِيلُ، إذَا وَلَعَ بِأُمِّهِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ العِبَادَ مُولَهُونَ مُولَعُونَ بِالتَّضَرُّعِ إلَيْهِ في كُلِّ الأَحْوَالِ! »[٢] وهذا كلام جميل جدًّا! وهي كلها معانٍ تجمع بين الجلال والجمال. والفَصِيلُ: هو ابن الناقة الذي يكون حديث عهد بالفصال أي بالفطام، فلا يزال

---

(١) اللسان، مادة: « أله ».

(٢) مفاتيح الغيب: تفسير سورة الفاتحة. ن. في ذلك أيضًا: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، وأساس البلاغة للزمخشري، والمفردات للأصفهاني، وتاج العروس للزبيدي. وغيرها.

يحن إلى ضَرْعِ أُمِّهِ، فإذا فصلوه عنها لم يزل يَرْغُو ويصيح شوقًا وحنينًا إليها! تمامًا كما يبكي الرضيع على ثدي أُمِّه! ولذلك قال أبو الهيثم: «ولاَ يكونُ إِلَهًا حَتَّى يَكُونَ مَعْبُودًا، وحتَّى يَكُونَ لِعَابِدِهِ خَالِقًا، ورَازِقًا، ومُدَبِّرًا، وعليه مُقْتَدِرًا! فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كذلكَ فَلَيْسَ بِإِلَهٍ، وإِنْ عُبِدَ ظُلْمًا. بَلْ هو مخلوقٌ ومُتَعَبَّدٌ. قالَ: وأَصْلُ إلَهٍ وِلاهٌ، فَقُلِبَتِ الوَاوُ همزةً (...) ومَعْنَى وِلاهٍ: أَنَّ الخَلْقَ يَوْلَهُون إليه في حوائجهم، ويَضْرَعُون إليه فيما يصيبهم، ويَفْزَعُونَ إليهِ في كُلِّ ما يَنُوبُهُمْ كمَا يَوْلَهُ كُلُّ طِفْلٍ إِلَى أُمِّهِ!»[1].

فقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، تقريرٌ منه عز وجل أنه اللّه ربُّ العالمين، وإله المخلوقين، جلا جلاله وعزَّ ثناؤه. وأنه هو وحده المستحق للعبادة. لا ينبغي للقلوب أن تخضع لسواه،

---

(١) اللسان، مادة: «أله».

ولا أن تركع لغيره. بل له وحده تَذِلُّ وتَخْنَعُ، وبِهِ تَتَعَلَّقُ وتَوْلَعُ، وله تَحِنُّ وتشتاقُ، وإليه تَفْزَعُ وتَضْرَعُ، وإليه تُسَاقُ مَوَاجِيدُ المحبة، ومَشَاعِرُ الخوف والرجاء! فمن خَرَمَ شيئًا من ذلك، فصرفه إلى غيره كان من المشركين! وغُلِّقَتْ دونه أبوابُ المعرفة باللَّه والعلمِ به - جلَّ عُلاه -، وكان من الخاسرين! فذلك (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ) تبارك اسْمُهُ وتعالى جَدُّهُ!

* * *
* *
*

القاعدة الثانية

وأما القاعدة الثانية، فهي اسمه تعالى:

﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾

وهو اسم اللَّه الأعظم، ووصفه الأكرم! كما دلّ عليه الحديث المذكور قبل. عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: « كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ جَالِسًا فِي الْحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ فِي دُعَائِهِ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ! يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ! يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ! يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ! إِنِّي أَسْأَلُكَ... » فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللَّهَ؟ » فَقَالُوا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؟ قَالَ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى! »[1] وقد كان من

(١) رواه أحمد واللفظ له، ورواه الأربعة في سُنَنِهم، والطبراني =

بين ما دعا به: « يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ! » وإن كان الاسم الأعظم قد تكون له عِدَّة تجليات من الأسماء والصفات، كما قررناه بشواهده في موطن آخر[١]. إلا أن مدار أكثر النصوص على هذه العبارة. فقد كانَ رسولُ اللَّه ﷺ إذا نزلَ بِهِ كَرْبٌ أو ضَيْقٌ دَعَا اللَّهَ بها، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ؛ قَالَ: « **يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ!** »[٢] وقال لابنته فاطمة - رضي اللَّه عنها -: « مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ به؟ أَنْ تَقُولِي إِذَا أصبحتِ وإِذَا أمسيتِ: « **يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**

= في الصغير، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك، وقال: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ». وصحَّحه الألباني في المشكاة، وصحيح الترغيب، وفي تحقيقه للسنن الأربعة. كما صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند.

(١) ن. تمهيد رسالتنا الصغيرة: « كاشف الأحزان ».

(٢) رواه الترمذي. وحسَّنه الألباني في صحيح سُننه، وفي السلسلة الصحيحة، وصحيح الجامع، وصحيح الكلم الطيب.

بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ! أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ! »[١].

﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ جل جلاله! ذلك هو الاسم الأعظم، الوارد ههنا على سبيل التعريف بالله، بعد كلمة التوحيد مباشرةً. وفيه من الأسرار والأنوار ما لا طاقة للقلب البشري على تلقيه! وإنما له أن يقتبس من أشعته على قدر مقامه! فهو من أعظم المفاتيح لحقيقة الربوبية؛ لأنه سبحانه ﴿ٱلْحَىُّ﴾ الحقُّ، أَصَالَةً لا تَبَعًا. أي أنه جل جلاله لم يكتسب صفة الحياة من أحد غيره؛ بل هي صفة قائمة بذاته، ثابتة له، أصيلة فيه تعالى، كسائر أسمائه وصفاته. فهو الحيُّ واهبُ الحياة! وما من حَيٍّ غيره إلا وهو يستمد منه تعالى الحياة! فيحيا بالله تعالى

(١) رواه النسائي في الكبرى، والطبراني في الأوسط والصغير، والبيهقي في الشعب، والحاكم وقال: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه » بينما حسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة، وصحيح الترغيب، وصحيح الجامع.

لا بذاته، ولو سلب الرَّبُّ عنه الحياةَ لالتحق بعالم الفناء والعدم!

والحياة سِرٌّ من أغمض أسرار الوجود وأعقدها! بدءًا من أضخم المخلوقات وانتهاءً بأحقرها وأدقها! كالباعوض وما دونه من الجراثيم الدقيقة، التي لا ترى بالعين المجردة! فلا أحد منا يعرف معنى الحياة، رغم أنها صفة قائمة به! وإنما الذي نعرفه هو أعراض الحياة وآثارها، كالحركة، والتنفس، والإحساس المادي والنفسي، وغيرها من الآثار والأعراض.

وأما تعريف «الحياة» بما هي جوهر مستقل، وحقيقة من حقائق الوجود؛ فهو ضرب من المستحيلات قطعًا! لأنه لا أحد يحيط بمفهوم الحياة، ولا مخلوق يملكها، وإنما حياتنا جميعًا مستعارة من الحي الذي لا يموت! إنها نفخة من روحه نعيش بها إلى حين! فكونه تعالى ﴿ٱلْحَىّ﴾ حقيقةٌ تقهر العقول، وتبهر القلوب! وتملأ النفس

الفانية فقرًا إليه تعالى؛ عساها تنال من كرمه العظيم، قَطْرًا من فيض الحياة فَتَحْيَا.. وإلا كانت من الهالكين!

والحياة - بعد هذا وذاك - طبقاتٌ من المعاني والأسرار..! فحياةُ الإنسان هي غير حياة الحيوان، ولا هي حياة النبات، ولا حياة الجانِّ، ولا حياة الملائكة، أو غير هؤلاء وأولئك مما اللَّه به عليم. فلكلِّ طبقة من طبقات الحياة معنى آخر، ووجود آخر، وذوق آخر، يختلف في تجلياته، وآجاله، وسائر أعراضه وآثاره عن غيره. ويبقى جوهر الحياة خاصية من خصائص ربِّ العالمين، لا يعلمه على حقيقته إلا هو، فسبحانه وتعالى مِنْ خالق عظيم!

وتكتمل صيغة الاسم الأعظم بالجمع بين اسميه تعالى ﴿ٱلْحَىُّ﴾ و ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾، وكلاهما هو في نفسه اسم من أسماء اللَّه الحسنى. وبالجمع بينهما في الذكر أو في الدعاء، ينفتح للعبد مقام الاسم

الأعظم! ولفظ ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ راجعٌ في اللغة إلى معنى القِوَامَةِ والتدبير. وهي صيغةُ مبالغةٍ دالة على امتلاء اللفظ بمعنى القَيُّومِيَّةِ. فَالقَيُّومُ: هو القائم بشؤون الكون، القَيِّمُ على خَلْقِهِ، وتدبير أَمْرِهِ، وإصلاحِ شأنه. وحفظ نظامه، ورعاية مصالحه. من الذرات إلى المجرات! ومن السماوات إلى الأرض، وما فيهما من كائنات ومخلوقات.

وللقيومية - عند التدبر - وَقْعٌ في النفس رهيب! إذ يشاهد القلب كيف يقوم الرَّبُّ الجليل بشؤون كل هذه العوالم والمخلوقات، وكيف يحفظ نظام الأفلاك، والكواكب السَّبَّاحَات، والنجوم السيارات! وكيف يسدّ حاجات الخلائق من ذوات الأرواح، من كلِّ الأجناس والأنواع والطبقات! ولو تأملتَ فعلًا واحدًا من قيوميته لرجع ذلك على القلب ببرهان قاصم؛ فجعله دَكًّا وخَرَّ القلبُ صَعِقًا! فانظر كيف يجيب في تجلٍّ واحدٍ، من تجليات فعلٍ واحدٍ، في وقتٍ

واحدٍ؛ جميعَ حاجاتِ عباده من الملائكة، والإنس، والجن، والحيوان، والطيور، والحيتان، والحشرات... إلخ. كلٌّ يدعو بلغته، مع اختلافها وكثرتها، وتفاوت طبقاتها، ناهيك عن تعدد لغات كل جنس في ذاته، واختلافها في نوعها! فيجيب القيومُ سبحانه كُلَّ أولئك جميعًا، ويعطي كل ذي مسألة مسألته، في وقت واحد! فلا يشغله دعاء عن سماع دعاء آخر وإجابته، في خضم بلايين الدعوات والرغبات! كلا! ولا تتزاحم عليه الطلبات وقضاء الحاجات! وهو ﷻ بقيوميته يُدبِّر حركة الكواكب والمجرات، والأرضين والسماوات، ولا شيء من ذلك ينفلت عن طوعه، أو يشذّ عن نظام تدبيره! فسبحانه وتعالى من ربٍّ عظيم حي قيوم!

ومِن ثَمَّ كان اسم ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ سكينةً للنفس، ويقينًا لها في استنادها إلى مولاها. كلما دعت به ربها وجدت يقين الإجابة يسري في ثناياها!

القاعدة الثالثة

وأما القاعدة الثالثة، فهي في قوله تعالى:

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

وهي من تمام قيوميته، وكمال ربوبيته. والسِّنَةُ: من الوَسَنِ، وهي الغفوة الخفيفة من النُّعَاسِ! والنُّعَاسُ: هو مقدمة النوم. فكانت السِّنَةُ أَخَفَّ من ذلك جميعًا، حيث يَغْفُو النَّاعِسُ وهو ما يزال على شيءٍ من الوعي واليقظة. فتلك هي السِّنَةُ. وهي مستحيلةٌ في حقِّ الحَيِّ القَيُّوم ﷻ! بَلْهَ النُّعَاس أو النوم! وقد عبَّر بقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ﴾ بمعنى: لا تغلبه ولا تتسلط عليه؛ لأن السِّنَةَ والنعاس والنوم، كلها إنما تدخل على ذات الوَسْنَانِ أو النائم غفلةً، وتسيطر عليه عنْوَةً، وتتمكن منه على غير إرادة منه، فهي من الأحوال الداخلة على الإنسان والحيوان قهرًا! وكل ذلك مستحيل في حقِّ الخالق سبحانه، فهو القاهر

فوق عباده. وما النوم وطبقاته إلا أحد مخلوقاته، الخاضعة لعزته وجلاله! وكيف يغفو أو ينام مَنْ هو قَيُّومُ العالمين؟ إذن يختل النظام الوجودي كله، وتنهار سماواته على أراضيه! وتهوي المخلوقات جميعها في غيابات العدَم! كَلَّا كَلَّا! فالرَّبُّ الجليل لا ينام. قال - عليه الصلاة والسلام -: « إِنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لا يَنَامُ - وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ. حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ! »[1] ذلكم اللَّه رب العالمين! فسبحانه مِنْ مَلِكٍ عظيم!

وسرُّ هذه القاعدة كامنٌ في أن العبد كلما تلقى كلماتها بإخلاص، وجد جمال الأمان في نفسه، وارتفع عنه الخوف والقلق، واطمأن إلى تدبير

---

(١) رواه مسلم.

مولاه؛ حيث يدرك أن اللَّه مُسْتَوٍ على عرشه أبدًا، يُدبِّر أمر مملكته سَرْمَدًا، متى طلبه وجده، وأنَّى دعاه سمعه. فليس يغفو ولا يشرد عن تدبير شؤون خلقه، ولا طرفة عين! ولا يُتْعِبُهُ خَلْقٌ ولا أمر. سبحانه جلا جلاله.

* * *
* *
*

القاعدة الرابعة

وأما القاعدة الرابعة، فهي في قوله تعالى:

﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

وهذه الجملة هي بمثابة المفتاح لكنوز المُلْكِ. فهي جامعة لصِفَةِ المالكية، وما يلزم عنها من صفات الخالقية؛ لأنه ما مَلَكَ إلا بما خَلَقَ. والتعبير هنا بلفظ « مَا » الموصولية، دال على الاستغراق الشامل، والعموم الكامل. فَمُلْكُهُ العظيم محيط بكل العالمين من السماوات والأرضين، وما فيهن من مخلوقات. فالعَالَمُونَ مخلوقون مملوكون، وهو وحده تعالى المالك الخالق! لا إله إلا هو. وهذه القاعدة تجري في مسلك تربية النفس على الاستغناء بالله وحده عن سائر خلقه، والثقة في عظمة ملكه وسلطانه وسَعَةِ غناه. وهي دواء للعبد المستجير بمولاه؛ خوفًا من طاغية أو فَرَقًا من ظالم! فالله وحده الذي

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ مالك لناصية كل جبار في الأرض من الإنس والجن، قاهر بعظمة ملكه وجبروت سلطانه فوق جميع عباده. فكل شيء في السماوات والأرض مملوكون له وحده، خاضعون له طوعًا أو كرهًا. لا ملجأ لأحد منه إلا إليه، ولا مَنْجَا له إلا به. لا مهرب منه ولا مفر، فكل شيء له. ومن ثَمَّ كانت هذه الكلمات قُوَّةً، وسَنَدًا عظيمًا لكلِّ عبد انتسب بِعَبْدِيَّتِهِ إلى مولاه، وكان في استناده إليه من الصادقين.

❋ ❋ ❋
❋ ❋
❋

القاعدة الخامسة

وأما القاعدة الخامسة، فهي:

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾

ومعناها: أنه لا أحد من الملائكة، أو النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، يتجرأ على التدخل عند اللَّه؛ والشفاعة لأحد من الخلق، اللَّهم إلا إذا كان مأذونًا في ذلك من ربه! وذلك لِمَا يجدونه من رهبة المخاطبة للَّه ذي الجلال والكبرياء والجبروت والعظمة!

وقد رأينا في حديث الشفاعة، كيف كان جميع الأنبياء يقولون للناس يوم القيامة: « إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ! وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ! نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي! » حتى وصلوا إلى محمد ﷺ، فسجد تحت العرش، ودعا بما خصَّه اللَّه به وفتح عليه من الثناء عليه

تعالى، فقال له الجبار جل جلاله: «يَا مُحَمَّدُ! اِرْفَعْ رَأْسَكَ! سَلْ تُعْطَهْ! وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ!»[١].

والمقصود: أنه تعالى له الإرادة المطلقة فيما يحكم ويريد. لا أحد بمقدوره رد قضاء اللَّه إذا قضى! فهو القاهر فوق عباده، مَاضٍ فيهم حُكْمُهُ، عدلٌ فيهم قضاؤه. وفائدة هذه القاعدة أن العبد لا يملك الفرار من اللَّه إلا إليه، ولا النجاة من عقابه إلا بعفوه ورحمته؛ ومن ثَمَّ يُجْرِي أعمالَه على ذلك الوِزَانِ، ويحمل نفسه على التوبة إلى اللَّه في كل وقت وحين.

* * *
* *
*

---

(١) متفق عليه.

القاعدة السادسة

وأما القاعدة السادسة، فهي:

﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ﴾

وهي في وصف علم الله ﷻ المحيط بكلِّ شيء.

وفيها تقرير أنه تعالى يعلم ما بين أيدي الناس من الأحداث الجارية، سواء في المقاصد والنيات، أو في الوقائع والتصرفات.

كما يعلم ما بين أيديهم من الحقائق الغيبية، المخفية تحت غيوم المستقبل القريب والبعيد إلى يوم القيامة.

وهو تعالى يعلم ما خلفهم مما سبق من أفعالهم وأفعال الناس أجمعين، مما خلفه التاريخ البشري والوجودي كله. ذلك قبس من علم اللّه المحيط بالسماوات والأرض ومن فيهن.

وهي قاعدة تصفي قلب المؤمن من التحيل على شريعة اللَّه، ومن إضمار الغش والخداع في معاملة اللَّه ومعاملة الناس. وتُعِينُ المؤمنَ على التخلص من آفة الرياء والنفاق. وتملؤه يقينًا في اللَّه ﷻ، بما هو سبحانه مُطَّلِعٌ على ما بطن من أعماله ونياته. فلا يزيده ذلك إلا صلاحًا وإخلاصًا.

كما أنها تبث السكينة في قلب العبد المبتلَى؛ بما له من يقين في أن اللَّه تعالى عليم بحاله، وأنه هو الذي يُجري عليه ما يشاء من أقداره؛ فيزيده ذلك صبرًا ورجاء في اللَّه، وتلقيًا للبشارات من رَوْحِهِ الكريم.

* * *
* *
*

القاعدة السابعة

وأما القاعدة السابعة، فهي:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾

ذلك أن علم اللَّه مكنون مصون بعزته تعالى وقدرته، وحجاب سلطانه. فلا أحد ينال منه شيئًا إلا بإذن اللَّه؛ مَنًّا منه تعالى وفضلًا. فكل المعارف البشرية، سواء من العلوم الدينية، أو العلوم الدنيوية، من الكشوفات والاختراعات العلمية، في جميع المجالات والميادين. كلها جميعًا من عند اللَّه؛ بما هيَّأ للإنسانية من سُنَنِ التيسير والتسخير في العمران البشري، على مقادير معلومة عنده، مضبوطة بإرادته. لا شيء منها يزيد أو ينقص عما حدّه تعالى لهم! سواء في مقداره أو في أجله وإِبَّانِهِ! فاكتشاف زراعة ما مثلًا، أو صناعة، أو دواء، أو آلة، أو سلاح... إلخ. كل ذلك - رغم ما فيه من جهد بشري وبحوث علمية

طويلة ومضنية - إنما هو قَدَرٌ من قَدَرِ اللَّه، وعطاءٌ من عطاءِ اللَّه، محكوم بإرادة اللَّه! لا يزيد عما قدَّره ولا ينقص شيئًا! ولعلك ترى تأخر البشرية في اكتشاف بعض الأدوية لبعض الأمراض المستعصية، أو بعض الآلات لجلب بعض المصالح الضرورية أو الحاجية؛ فإنما معنى ذلك أن اللَّه الحكيم العليم لم يأذن في ذلك الاكتشاف بعدُ..! والناس - في غالب الأحيان - ينخدعون بما بين أيديهم من أسباب البحث والاختراع، وينسبون إليها علومهم واختراعاتهم. وأهل اليقين في اللَّه، يشاهدون أنما تلك الأسباب حُجُبٌ أخفَى اللَّه بها أسرار إرادته؛ ابتلاء للناس! ويدركون يقينًا أيضًا أن لا علوم من علوم الدين والدنيا إلا وهو مَنٌّ من اللَّه وهُدًى منه تعالى، ولولا أنْ هَدَى البشريةَ إليه بمحض رحمته؛ لظلَّتْ في ضلالها القديم إلى يوم الدين! ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾

وفيها تصفية لعقيدة المؤمنين من الدعاوى* الجاهلة والخرافات الباطلة، التي يستعملها الكَهَنَةُ والمنجمون لتضليل الناس، والزعم أنهم يعلمون ما خفي من غيوبهم، ويخبرون السُّذَّج منهم بما تخفيه أبراجهم وأيامهم المقبلة! فالآية قاصمة لهذا الجهل المبين، ومحطمة لهذا الدجل البهيم!

* * *
* *
*

القاعدة الثامنة

وأما القاعدة الثامنة، فهي:

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾

ولا بد ههنا - قبل تقرير الفائدة التربوية لهذه القاعدة - من بيان أن المختار عندنا هو السير على منهج السَّلف الصالح - رحمهم اللَّه - في أمور الأسماء والصفات، وما أثبته اللَّه تعالى لنفسه منها، أو ما ثبت من ذلك بالأحاديث الصحاح. وكذا ما أضافه اللَّه ﷻ إلى نفسه من أفعال، كالعلو، والنـزول، والاستواء على العرش، ونحوها. من غير تشبيه أو تجسيم، ولا تعطيل أو تأويل مُفْتَئِتٍ على اللَّه بغير علم. لِمَا في ذلك من الحِكَمِ العظيمة، والأدب الرفيع مع اللَّه تعالى، ولِمَا فيه من العلم به سبحانه. على ما سنقرره بحول اللَّه في رسالاتِ الْهُدَى المنهاجي لهذه الآية.

وقد اختلف السلف في تفسير عبارة « الكرسي » على مذاهب كثيرة، ذكرها المُفسِّرون. فمن قائل بأن الكرسي حقيقة في معناه غير مجاز، وهو دون العرش. ومن قائل: إنه هو عينه. ومن قائل: إنه حقيقة في العلم، فالكرسي هنا هو علم اللَّه تعالى وإحاطته بالسماوات والأرض؛ لأن من معاني مادة « كرس » في اللغة: ما علا من الأرض واشتد، وما اجتمع من الدِّمَنِ أو التراب. ويَرِدُ بمعنى العلم، والأصل الكريم، كما أجمعت عليه معاجم اللغة[١]. ولذلك قيل للعلماء: الكراسي، ومنه الكراسة التي يُدَوَّنُ فيها العلم. واختاره ابن جرير الطبري - رحمه اللَّه - في تفسيره[٢].

ومن قائل: بل هو مجاز في معنى القدرة التي

---

(١) ن. مادة « كرس » في كتاب العين للخليل، وأساس البلاغة للزمخشري، والمحيط للصاحب بن عبَّاد، والصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروز آبادي.

(٢) تفسير الطبري لآية الكرسي.

بها يمسك الله ﷻ السماوات والأرض. وقائل: هو مجاز في معنى عظمة الله وسلطانه[1].

والمنهج عندنا في مثل هذه الآيات: الإيمان بها، وبما ما دلَّ عليه ظاهرها. فالكرسي هو الكرسي، كما أن العرش هو العرش. وكلاهما موضع للجلوس والاستواء. ولا يلزم عن ذلك تصوُّر هيئة الكرسي ولا العرش، ولا تصوُّر هيئة الجلوس، على ما هو معروف عند الناس. وههنا موطن الانزلاق، ومدخل الاختلاف. وهو ما حمل المتأولين على إخراج اللفظ عن ظاهره إلى معنى غيره، وهو أيضا ما أوقع غيرهم في التجسيم الخشن. وكلاهما قول منكر باطل. بل القول الحق - إن شاء الله - هو أن هيئات الأفعال المضافة إلى الله ﷻ منحصر علمها عند الله وحده. والدخول في تفاصيل ذلك ضرب من

(١) ن. الروايات في ذلك عند الطبري، والبغوي، وابن كثير، والشوكاني، في تفاسيرهم للآية. وكذا الدر المنثور للسيوطي.

المغامرات العقلية الخاسرة! وهو أمر منهي عنه شرعًا. قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وليس لنا أن نتجاوز في مثل هذه الآيات حدود ما ورد به القرآن والسنة الصحيحة، كما سنبيِّنه بحول اللَّه في الهدى المنهاجي لهذا المجلس. وإنما الذي يمكن إثباته في الكرسي ههنا - بعد إثبات حقيقته - هو أنه شيء غير العرش، لِمَا رواه الطبري وغيره بسند حسن، عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة! وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة!** »[1] وأما ما دون ذلك من

---

(١) رواه محمد بن أبي شيبة في كتاب العرش: (١/ ١١٤) قال: « حدثنا الحسن بن أبي ليلى أنبأنا أحمد بن علي الأسدي عن المختار بن غسان العبدي عن إسماعيل بن سلم عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت رسول اللَّه ﷺ وحده فجلست إليه، فقلت:=

الأحاديث فلا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، وأغلبها

=يا رسول اللَّه أيما آية نزلت عليك أفضل؟ قال: « آية الكرسي، ما السموات السبع...» الحديث.

قال الألباني: وهذا سند ضعيف! إسماعيل بن سلم لم أعرفه، وغالب الظن أنه إسماعيل بن مسلم، فقد ذكروه في شيوخ المختار بن عبيد، وهو المكي البصري وهو ضعيف. والمختار روى عنه ثلاثة، ولم يوثقه أحد. وفي « التقريب »: أنه مقبول.

قال الألباني: ولم ينفرد به إسماعيل بن مسلم، بل تابعه يحيى ابن يحيى الغساني، رواه حفيده إبراهيم بن هشام بن يحيى ابن يحيى الغساني، قال: حدثنا أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني به. أخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات »، (ص: ٢٩٠). قال الألباني: وهذا سند واهٍ جدًّا! إبراهيم هذا متروك كما قال الذهبي، وقد كذَّبه أبو حاتم.

وتابعه القاسم بن محمد الثقفي، ولكنه مجهول كما في « التقريب». أخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (٢/ ١٣ - طبع المنار) من طريق محمد بن أبي السري « الأصل: اليسري » العسقلاني أخبرنا محمد بن عبد اللَّه التميمي عن القاسم به. والعسقلاني والتميمي كلاهما ضعيف.

وللحديث طريقان آخران عن أبي ذرٍّ، الأول: عن يحيى ابن سعيد السعدي البصري، قال: حدثنا عبد الملك بن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمر الليثي عنه به. أخرجه البيهقي وقال:=

إنما هو من الإسرائيليات.

= « تفرد به يحيى بن سعيد السعدي، وله شاهد بإسناد أصح ».
قال الألباني: ثم ساقه من طريق الغساني المتقدم، وما أراه بأصحَّ من هذا، بل هو أوهي! لأن إبراهيم متهم كما سبق، وأما هذا فليس فيه من اتهم صراحة، ورجاله ثقات، غير السعدي هذا، قال العقيلي: « لا يتابع على حديثه ». يعني هذا .وقال ابن حبان: « يروي المقلوبات، والملزقات، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد! ».
الثاني: عن ابن زيد قال: حدثني أبي، قال: قال أبو ذرٍّ فذكره. أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (٥/ ٣٩٩). حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد به. قال الألباني: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات. لكني أظن أنه منقطع! فإن ابن زيد هو عمر بن محمد بن زيد بن عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب، وهو ثقة من رجال الشيخين يروي عنه ابن وهب وغيره. وأبوه محمد بن زيد ثقة مثله، روى عن العبادلة الأربعة: جده عبد اللَّه، وابن عمرو، وابن عباس، وابن الزبير، وسعيد بن زيد بن عمرو. فإن هؤلاء ماتوا بعد الخمسين، وأما أبو ذر ففي سنة: اثنتين وثلاثين؛ فما أظنه سمع منه.
قال الألباني: وجملة القول: إن الحديث بهذه الطرق صحيح، وخيرها الطريق الأخير، واللَّه أعلم. السلسلة الصحيحة: (١/ ١٧٤). قلت: والحقيقة أن الحديث - كما رأيتَ من ضعف جميع طرقه بلا استثناء - لا يرتقي إلى مرتبة الصحيح =

قال الشيخ الألباني - رحمه اللَّه -: والحديث خرج مخرج التفسير لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. وهو صريح في كون الكرسي أعظمَ المخلوقات بعد العرش، وأنه جِرْمٌ قائمٌ بنفسه، وليس شيئًا معنويًّا. ففيه رد على من يتأوله بمعنى المُلْكِ(...) وسَعَةِ السلطان، كما جاء في بعض التفاسير « ثم قال: » واعلم أنه لا يصحُّ في صفة الكرسي غير هذا الحديث! كما في بعض الروايات أنه موضع القدمين! وأن له أَطِيطًا كأطيط الرَّحْلِ الجديد! وأنه يحمله أربعة أملاك، لكل ملك أربعة وجوه! وأقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة!... إلخ. فهذا كله لايصحُّ مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وبعضه أشد ضعفًا من بعض![1].

= كما ذكره الألباني - رحمه اللَّه -، بل غايته أن يكون حسنًا لغيره، إن شاء اللَّه. هذا على شيء من التساهل فيه. خاصَّة وهو يقرر أمرًا عقديًّا في غاية الخطورة!

(١) السلسلة الصحيحة: (١/ ١٧٤).

وعليه؛ إذا ثبت أن معنى الكرسي هو في حقيقته أصالةً؛ فلا يمنع - بعد ذلك - دلالته على معاني القوة والسلطان والسيطرة تبعًا، أي عن طريق اللزوم. كدلالة لفظ « النافذة » - مثلًا على معنى الشباك أصالةً، ثم على معنى الجدار والحجرة تبعًا. إذ الكرسي الذي وَسِعَ السماواتِ والأرضَ واحتواهما، يدل على سيطرة صاحبه عليهما، وهو المقصود بالمعنى التبعي ههنا. ولا إشكال فيه.

والفائدة التربوية من هذه القاعدة: أنها تملأ قلب المؤمن ثقة بالله، واطمئنانًا على قدرته على فعل ما يريد، وأنه ﷻ على كلِّ شيء قدير، لا يعجزه شيء في السماوات والأرض، بل كل شيء فيهما، وكل مخلوق من الإنس والجنِّ وغيرهما خاضع لجلاله وسلطانه. وذلك ما يعين العبد على دخول منازل التوكل، واليقين، والغِنَى العالي بالله. وعلى الشجاعة في الحق، والتخلص من خوف كل طاغية مهما بلغت قوته وجبروته، وتوحيد

الخوف في الرَّبِّ العظيم، الذي ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

* * *
* *
*

القاعدة التاسعة

وأما القاعدة التاسعة، فهي:

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾

ومعنى يَؤُودُهُ: يُثْقِلُهُ ويُتْعِبُهُ. تقول: آدَ الْحَمْلُ الرَّجُلَ: إذا أثقله حتى انْحَنَى ظَهْرُهُ! ويقالُ: انْآدَ الغُصْنُ: إذا انعطف وانحنى من ثقل ما يحمل من الثمر. والأَوَدُ: الِاعْوِجَاجُ، يقال: آدَهُ الكِبَرُ أو الجوعُ[1]. ومعنى العبارة في الآية أن الله ﷻ لا يُتْعِبُهُ إمساك السماوات والأرض أنْ تَزُولا، ولا يثقله القيام على شؤونهما حفظًا ورعايةً، بما فيهما من طبقات وخلائق، وما يصلحهما من نظام وصيانة وتدبير! وهذا كله راجع إلى معنى قيوميته تعالى على ملكه العظيم. والجديد

---

(١) ن. أساس البلاغة للزمخشري، والمفردات للأصفهاني، والصحاح للجوهري، واللسان لابن منظور، والقاموس للفيروز آبادي.

ههنا هي أنه سبحانه لا يَتْعَبُ ولا يَنْصَبُ من تدبير شؤون خلقه، مهما عَظُمَ الخَلْقُ وكَبُرَ؛ لأنه - جلَّ وعلا - أعظم وأكبر! وهذا نحو قوله تعالى في سورة «ق»: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:٣٨] واللُّغُوبُ: التَّعَبُ والنَّصَبُ. فكما نفاه عن ذاته سبحانه عند خلقهما، كما في سورة «ق»، فقد نفاه عنه ههنا أيضًا فيما يتعلق بحفظهما وصيانتهما. وكذا فيما يلزم عن ذلك من إحياء، وإعاشة، وإعالة، ورعاية، وفي كلِّ ما يتعلق بأمور التقدير والتدبير. وكيف لا؟ وهو الرَّبُّ الخالق العظيم، الْمُنَزَّهُ عن كلِّ صفات العجز والنقص!

والفائدة التربوية من هذه القاعدة: هي تحصيل المؤمن لسلام الروح، وسكينة النفس؛ بما يتلقى عن عبارتها من الحقائق الإيمانية، الدالة على قدرة اللَّه سبحانه على إجابة دعائه، وقضاء حاجاته،

وحفظ مهجته، من كلِّ عدو. وكل ذلك يمنحه ثقة باللَّه ويقينًا فيه؛ فلا يتردد عن الاستناد إليه في كلِّ أمره. ومن تعلَّق بحافظ السماوات والأرض فهو محفوظ.

* * *
* *
*

القاعدة العاشرة

وأما القاعدة العاشرة، فهي:

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾

ومعناها: أنه تعالى رفيع الدرجات، متعالٍ على خلقه، يدبر شؤون ملكه من فوق سماواته. وأنه سبحانه عظيمُ الشأن، جليلُ القَدْرِ، مَهِيبُ الْمَقَامِ، واسع الْمُلْكِ، رهيب السطوة والسلطان، ذو الجلال. فَعُلُوُّهُ تعالى تنـزيهٌ له عن خلقه. وعظمتُه تمجيدٌ لكبرياء ذاته، ولجلال سلطانه. وكلاهما ثناءٌ على اللَّه وتنـزيهٌ.

وأما فائدتها التربوية: فهي ما يتلقاه المؤمن عنها من العلم القاضي بتفرد اللَّه ﷻ بالعلو والعظمة؛ بما يتحدَّى جميع الخلق ويقهرهم تحت سلطانه! وأن الطغاة مهما عَلَوْا في الأرض واستكبروا فإنهم عبيد مقهورون تحت جبروته العظيم ﷻ. أما من سوَّلت له نفسه منازعة الرَّبِّ في عظمته

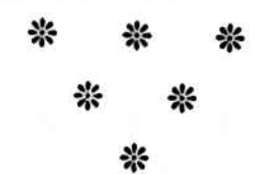
وكبريائه؛ فإنه يقصمه ويقذفه في النار..! والقاعدة في جميع الأحوال قاضية بغلبة اللَّه على خلقه، وسيطرته على مُلْكِهِ، غير مُنَازَعٍ في أمره. وفي ذلك ما فيه من تعميق الثقة باللَّه في قلب العبد المؤمن، المعتصم بربِّه، المتوكِّل عليه.

* * *

وبهذه القواعد الكلية في التعريف باللَّه ربِّ العالمين، كانت آيةُ الكرسي أعظمَ آيةٍ في كتاب اللَّه، لا يتدرج عَبْدٌ بمنازلها، مُتحصِّنًا بمقامها، ومُتخلِّقًا بخصالها، ومُتحقِّقًا بعلومها؛ إلا كان من العلماء باللَّه الخاشعين، وأوليائه المحروسين! ولنا - إن شاء اللَّه - وقفة أخرى مع هذه القواعد العشرة؛ لبيان منهاجها العملي، ومدخلها التطبيقي، بمسلك التخلق من هذه المدارسة.

فتلكم هي آية الكرسي، الْمُعَرِّفَةُ باللَّه ومُلْكِهِ العظيم، وذلكم هو اللَّه ربُّ العالمين، الذي جاهد فيه المجاهدون، وفَنِيَ في عبادته المؤمنون، ودَعَا

إليه الأنبياء والمرسلون. له الأسماء الحسنى والصفات العُلَى. فلا يمكن لمن عرفه بقلب خَالٍ من الأدواء والأهواء إلا أن يُحبَّه، ويكون له من العابدين!



الهدى المنهاجي

(وهو في ستٍّ رسالات)

الرسالة الأولى

في أن آية الكرسي
هي أعظم آية في التعريف بالله!

وإنها لذلك لَشَيْءٌ عظيم! فَأَنْ تجد ما يعرفك بخالقك، وأَنْ تجد ما يعلمك حقيقةَ ربِّك؛ معناه أنك قد وجدت كلَّ شيء! وجدت ذاتك، ووجدت حياتك، ووجدت دنياك، ووجدت آخرتك، وذقت لذَّة العيش ولو كنت أفقر الناس! وامتلأ قلبك بالأمل العظيم في اللَّه، تستنشق من رَوْحِ اللَّه ما يحدو قلبك إلى نعيم الآخرة! زَادُكَ الطاعة، وغذاؤك القناعة؛ وإن هذا لهو الغني العالي باللَّه! كل ذلك لأنك وجدت ربك الذي خلقك! وأما مَنْ فَقَدَهُ - ويَا لَتَعْسَ مَنْ فَقَدَهُ! - فَقَدْ فَقَدَ كُلَّ شيء! فَأَتْعِسْ بها من حياة يحياها! ولو كان يملك الثروة بالملايير! ألاَ وإنه لفقيرٌ فقيرٌ..! وما ضَلَّ من ضَلَّ من الأمم القديمة

والحديثة إلا بسبب جهلهم الفظيع باللَّه! فما في الدنيا لذَّةٌ ولا نعمةٌ أَجَلُّ ولا أَكْرَمُ من معرفة اللَّه!

ومن هنا كانت آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب اللَّه! وكانت تاج آيات الذكر الحكيم؛ بما فيها من عِلْمٍ باللَّه، ومن عجائب الأسرار والأنوار. ومِن ثَمَّ وجب تعليمها للكبار والصغار، ووجب تلقينها للأطفال، وتعريفهم بحقائقها الإيمانية على قدر ما تستوعبه عقولهم. ذلك أن آية الكرسي بذاتها مسلك إلى اللَّه، وحِصْنٌ حصينٌ للمؤمن، ما تلاها بيقين وإخلاص. فهي خير أوراده وأذكاره، سواء بُعَيْدَ صَلاَتِهِ أو عند منامه، بليله أو نهاره، أو في سفره وحضره، وسائر أحواله. فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: « **مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتُ!** »[1].

---

(١) رواه النسائي في الكبرى، والطبراني في الكبير وفي الشعب، وابن حبان في صحيحه. وصحَّحه الألباني في =

ومن أشهر الأحاديث الواردة فيها، القصةُ الطريفة التي رواها الصحابي الجليل أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ! قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ! قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ. فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟**» قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا؛ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ! قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ!**» فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ: «**إِنَّهُ سَيَعُودُ**». فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! قَالَ: دَعْنِي! فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لا أَعُودُ. فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

= السلسلة الصحيحة، وصحيح الترغيب، وصحيح الجامع.

« يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ » قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا؛ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ! قَالَ: « أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ..! » فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ! وَهَذَا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ..! قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا! قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ؛ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ! قال: فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ » قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا؛ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: « مَا هِيَ؟ » قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ. وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ

اللَّهِ حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ! تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قَالَ: لاَ. قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ!»[1].

تلك آية الكرسي، وتلك بعض آثارها العجيبة! فاجعلها أساسَ وِرْدِكَ، ومنهاجَ حياتك! ومجال تَدَبُّرِكَ وتَفَكُّرِكَ!

* * *
* *
*

(١) رواه البخاري.

الرسالة الثانية

في أن أشرف العلوم الإيمانية هو العِلْمُ الْمُعَرِّفُ باللَّه ﷻ، توحيدًا وتفريدًا.

كما اتَّفق عليه علماء الإسلام سَلفهم وخَلفهم؛ لأن شَرَفَ العلمِ بشرف المعلوم، فلما كانت ذاتُ اللَّه تعالى أشرف الذوات، وأرفع المعلومات؛ كان العلم باللَّه ﷻ أشرفَ العلوم، وأرفع المعارف. ولو تدبرَّتَ كتاب اللَّه تعالى لوجدت مداره كلَّه على هذا المعنى. ولا يدخل في ذلك علم الكلام القائم على الجدل المراوغ الذميم، والنظر العقلي العقيم؛ لأنه لا يورث تقوى ولا خشية ولا يقينًا. وإنما العلم الحق باللَّه هو ما عرَّف العبدَ بربِّه، وغمر قلبَه بنور اليقين، وأكسبه مشاهدة حقائق الإيمان، وتجليات أسماء اللَّه الحسنى وصفاته العُلَى، بما عرف من جلال ربوبيته، وجمال ألوهيته؛ فتعلَّق قلبه به، وسار إليه تعالى إجلالًا

وتعظيمًا، وخوفًا ورجاءً، وشوقًا ومحبةً، وتدرَّج في مراتب الإخلاص حتى يكون من الصدِّيقين. وذلك هو علم التوحيد المأخوذ من الكتاب والسنة رأسًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه -: « فَإِنَّ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَخَشْيَتِهِ، وَإِخْلاصِ الدِّينِ لَهُ، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِأَخْبَارِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ « هو » مِمَّا يَتبَايَنُ النَّاسُ فِيهِ، وَيَتَفَاضَلُونَ تَفَاضُلًا عَظِيمًا. وَيَقْوَى ذَلِكَ كُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ تَدَبُّرًا لِلْقُرْآنِ، وَفَهْمًا وَمَعْرِفَةً بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَعَظَمَتِهِ، وَتَفَقُّرِهِ إِلَيْهِ فِي عِبَادَتِهِ، وَاشْتِغَالِهِ بِهِ؛ بِحَيْثُ يَجِدُ اضْطِرَارَهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ تَعَالَى مَعْبُودَهُ وَمُسْتَغَاثَهُ؛ أَعْظَمَ مِنَ اضْطِرَارِهِ إِلَى الأَكْلِ وَالشُّرْبِ! »[1] وقال في موطن آخر: « فَإِنَّ اللَّذَّةَ وَالْفَرْحَةَ وَالسُّرُورَ، وَطِيبَ الْوَقْتِ، وَالنَّعِيمَ

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٢/٦٠٦). طبعة دار عالم الكتب بالرياض.

الَّذِي لا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ؛ إِنَّمَا هُوَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَوْحِيدِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَانْفِتَاحِ الْحَقَائِقِ الإِيمَانِيَّةِ، وَالْمَعَارِفِ الْقُرْآنِيَّةِ ».[١]

* * *
* *
*

(١) مجموع الفتاوى: (٢٨/ ٣١).

الرسالة الثالثة

في أن حقائق الأسماء الحسنى والصفات العُلَى من أهم أصول العلم بالله، وأن معرفة العبد بالله تكون على قدر معرفته بها، وتحققه بمقتضياتها، وتخلقه بمنازلها

فمن شرح الله صدره لها، وعَمَرَ قلبَه بأنوارها؛ تلقِّيًا لحقائقها من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ لم يزل يشاهد تجلياتها في كلِّ شيء من ملكوت السماوات والأرض. فلا يرى شيئًا من المخلوقات الكبيرة والصغيرة، ولا شيئًا من الحقائق الكونية، والحوادث العالمية، وسائر الأقوال والأفعال، والتصرفات البشرية وغير البشرية؛ إلا أثرًا من آثارها، وتجلِّيًا من تجلياتها! وهذا معنى من معاني توحيد الربوبية. فمن شاهد المخلوقات علم أنها انعكاس لنور اسمه الخالق جل جلاله، ومن شاهد صورها علم أنها

انعكاس لنور اسمه المصوِّر ﷻ، ومن شاهد الأرزاق علم أنها تجلٍّ لاسمه الرزَّاق ﷻ، ومن شاهد المصائب والمهالك، والزلازل والأعاصير والبراكين؛ علم أنها تجلٍّ لصفات الإرادة، والعزة، والقوة، والقهر، والجبروت؛ القائمة بذاته ﷻ، وكذا ما يدل عليها من أسماء حسنى، مثل القَوِيِّ، والقهار، والجبار، ونحوها، مما علمنا وما لم نعلم! وهكذا ما من شيء أو فعل حادث في الكون إلا وهو من تجليات الأسماء الحسنى والصفات العُلَى وانعكاس لأنوارها. ذلك أن الرَّبَّ العظيم ﷻ، إنما علَّمنا من أسمائه وصفاته ما علَّمنا؛ لِنُرْجِعَ كلَّ شيء في هذا العالم إليه، خَلْقًا وتقديرًا، ورعايةً وتدبيرًا! كما تدارسناه في آية الكرسي ههنا. وهذا المسلك هو أهم المسالك المعرفة بالله والموصلة إليه. لأن من تحقَّق بهذا التوحيد مشاهدةً وتخلُّقًا؛ تحقَّق بتوحيد الألوهية خضوعًا وخشوعًا،

وخوفًا ورجاءً، وشوقًا ومحبة. وترقّى في مراتب الإخلاص إلى أعلى الدرجات!

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه -: « فَإِنَّ كُلَّ مَا يُعْلَمُ وَيُقَالُ يَدْخُلُ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ؛ إذْ لاَ مَوْجُودَ إلَّا وَهُوَ خلقَهُ. وَكُلُّ مَا فِي الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ، وَالأَقْدَارِ وَالأَفْعَالِ، فَإِنَّهَا شَوَاهِدُ وَدَلائِلُ عَلَى مَا للَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى. إذْ كُلُّ كَمَالٍ فِي الْمَخْلُوقَاتِ فَمِنْ أَثَرِ كَمَالِهِ. وَكُلُّ كَمَالٍ ثَبَتَ لِمَخْلُوقٍ فَالْخَالِقُ أَحَقُّ بِهِ. وَكُلُّ نَقْصٍ تَنَزَّهَ عَنْهُ مَخْلُوقٌ فَالْخَالِقُ أَحَقُّ بِتَنْزِيهِهِ عَنْهُ (...) وَأَسْمَاءُ اللَّهِ مُتَضَمِّنَةٌ لِصِفَاتِهِ، لَيْسَتْ أَسْمَاءَ أَعْلامٍ مَحْضَةً، بَلْ أَسْمَاؤُهُ تَعَالَى: كَالْعَلِيمِ، وَالْقَدِيرِ، وَالسَّمِيعِ، وَالْبَصِيرِ، وَالرَّحِيمِ، وَالْحَكِيمِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. كُلُّ اسْمٍ يَدُلُّ عَلَى مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ الاِسْمُ الآخَرُ، مِنْ مَعَانِي صِفَاتِهِ. مَعَ اشْتِرَاكِهَا كُلِّهَا فِي

الدَّلالَةِ عَلَى ذَاتِهِ. وَإِذَا كَانَ مِنْ أَسْمَائِهِ مَا اخْتَصَّ هُوَ بِمَعْرِفَتِهِ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ مَا خَصَّ بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ؛ عُلِمَ أَنَّ تَفَاضُلَ النَّاسِ فِي مَعْرِفَتِهِ أَعْظَمُ مِنْ تَفَاضُلِهِمْ فِي مَعْرِفَةِ كُلِّ مَا يَعْرِفُونَهُ»[1].

وهذا أجلُّ العلوم وأشرفها، وهو الغاية المقصودة بدراسة توحيد الأسماء والصفات، تخلُّقًا وتحقُّقًا.

* * *
* *
*

(١) مجموع الفتاوى: (٧/ ٥٧٠ - ٥٧١).

الرسالة الرابعة

في أن من أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله دعاؤه تعالى بالأسماء الحسنى، والثناء عليه بما أعطانا من عباراتها المنيرة وألفاظها الكريمة

قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. إلا أنه لا بد من بيان أن عدد الأسماء الحسنى غير محصور، وإنما أوتينا منها تسعة وتسعين اسمًا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا - مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا - مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ! »[1] فأمَّا عدم حصر الأسماء الحسنى فقد دلَّت عليه السنة الصحيحة؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلا حزْنٌ؛

---

(١) متفق عليه.

فَقَالَ: « اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي! »؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا! فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى! يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا! »[1] فقوله ﷺ: « أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ

(١) رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والطبراني في الكبير، وأبو يعلى، وابن حبان، والحاكم، وقال: « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ». وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة، وصحيح الترغيب، وصحيح الكلم الطيب. وقد ضعَّفه الشيخ شعيب الأرناؤوط؛ بناء على ما تناقله بعض نقاد الحديث كالذهبي، من جهالة أحد رواته، وهو المكنى « أبا سلمة الجهني ». إلا أن الشيخين أحمد شاكر والألباني - رحمة اللَّه عليهما - قد اكتشفا أنه: « موسى الجهني وهو من رجال مسلم. فصحَّ قول الحاكم بذلك قبلهما؛ فثبتت صحّة الحديث على شرط مسلم! وفي ذلك بحث بديع أنجزه الألباني - رحمه اللَّه - في كتاب =

فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ » نصّ صريح في استئثار اللَّه ببعض أسمائه ﷻ. ويؤيِّده أيضًا حديث الشفاعة المذكور قبلُ، وفيه قوله ﷺ: « فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷿ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي! »[1] وإنما يكون الثناء على اللَّه بأسمائه وصفاته. ومعناه أن اللَّه - جلَّ ثناؤه - يكشف لمحمد ﷺ يوم الحشر، من أسمائه الحسنى؛ ما لم يكشفه لأحد قبله من العالمين، ولا كشفه له هو نفسه ﷺ قبل ذلك في الدنيا!

* * *
* *
*

= السلسلة الصحيحة: (١/ ٣٣٧).

(١) متفق عليه.

الرسالة الخامسة

في أن « الاسم الأعظم » هو جوهرة الأسماء الحسنى

وذلك لِمَا يتضمنه من التمجيد والتعظيم، والثناء الكبير على اللَّه ﷻ، ولِمَا أودع اللَّه فيه من أسرار صفاته وعظيم قدرته. ومِن ثَمَّ فقد ثبتت الأحاديث في أنه ما دعا به عبدٌ رَبَّهُ صادقًا إلا استجاب له! وقد اختلف العلماء كثيرًا في تحديده؛ بسبب اختلاف الأحاديث الصحيحة الواردة فيه. والراجح عندنا أن ذلك دليل على أن له تجليات شتى، وليس مجرد عبارة واحدة أو عبارتين فقط. فقد ثبت فيه ما أوردناه قبلُ، مما رواه القاسم الإمام التابعي الجليل - رحمه اللَّه - عن أبي أمامة ﵁ أن النبي ﷺ قال: « **اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، فِي سُوَرٍ ثَلاثٍ: الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَهَ** ». قال القاسم: فالتمستُها

فوجدتُ في سورةِ البقرةِ آيةَ الكُرْسِي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، وفي سورة آل عمران: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، وفي سورة طه: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾[1]. فآل الاسم الأعظم إلى أنه ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ كما قرَّرناه قبل.

ولكن وردت له صيغ أخرى غير هذه، فَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ - رضي اللَّه عنها - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[2] وعن بُرَيْدَةَ الأسلمي رضي الله عنه:

---

(١) رواه ابن ماجه، والطبراني في الكبير، والحاكم. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، وصحيح الترغيب، وصحيح الجامع، وصحيح سنن ابن ماجه.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، والدارمي، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب. كلهم عن أسماء بنت يزيد. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وحسَّنه الشيخ الألباني في صحيح سُنَنهم، وفي صحيح الترغيب، وصحيح الجامع برقم: (٩٨٠).

« أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ سمع رجلًا يقول: « اللَّهم إني أسألك، بأني أشهد أنك أنت اللَّه، لا إله إلا أنت، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحدٌ! » فقال ﷺ: « **لقد سألتَ اللَّه بالاسم الأعظم، الذي إذا سُئِلَ به أعطَى، وإذا دُعِيَ به أجاب!** »[١] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « مَرَّ النبي ﷺ بأبي عياش - زيد بن الصامت الزرقي - وهو يصلي، وهو يقول: « اللَّهم إني أسألك بأنْ لكَ الحمد، لا إله إلا أنت، يا حَنَّانُ! يا منَّانُ! يا بديعَ السموات والأرض! يا ذا الجلال والإكرام! » فقال رسول اللَّه ﷺ: « **لقد سألتَ اللَّه باسمه الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى!** »[٢].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه، ورواه كذلك ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما. وصحَّحه الألباني في صحيح سُنَنهم، وصحيح الترغيب، والمشكاة.

(٢) رواه أحمد واللفظ له، وابن ماجه. ورواه أبو داود، =

فهذه أربع صِيغ صحيحة من صِيغ الاسم الأعظم، وكل صيغة منها مركبة من عدد من الأسماء والصفات، يجوز أن يكون الاسم الأعظمُ أحدَها، ويجوز أن يكون جميعَها؛ فيصير الاسم الأعظم بذلك أكثر من أربع صِيغ.

والحاصل أن العبد إذا ما ناجى رَبَّهُ بهذه العبارات، وابتهلَ إلى اللَّه بها مُخلِصًا، وافقَ الاسمَ الأعظمَ بدعائه ومناجاته، ونطق بما عَظُمَ عند اللَّه من عبارات الثناء عليه، والحمد لجلال وجهه، وعظيم سلطانه؛ فنال الرضا والقبول، وفاز بكرم الاستجابة والعطاء!

* * *
* *
*

=والنسائي، وابن حبان، والحاكم. قال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب: « حسن صحيح ». وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند: « حديث صحيح، وهذا إسناد قوي ».

الرسالة السادسة

في أَنَّ آيةَ الكُرْسِيِّ تتضمَّن أَصْلًا عظيمًا من أصولِ التوحيد في الإسلام، أَلَا وهو توحيد الأسماء والصفات

ومعناه راجع إلى إثبات ما أثبته اللَّه لنفسه من أسماء حُسْنَى وصفات عُلَى، وكذا ما أثبته له رسوله ﷺ منها، مما ثبت به الحديث الصحيح. ثم نَفْيِ ما نَفَاهُ اللَّهُ ورسولُه ﷺ عن ذاته ﷻ، من صفات النقص والمثال. وهو معنى التنـزيه والتسبيح. فَالجُمَلُ الْمَنْفِيَّةُ في آية الكرسي نَفْيٌ لِمَا لا يليق بجلال وجهه وكمال ذاته سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾. وأما الْجُمَلُ الْمُثْبَتَةُ، ففيها إثباتٌ لِمَا تضمنته من الأسماء والصفات. كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. فهذه هي عقيدة الصحابة

والتابعين، وكبار علماء الأمصار الْمُتَّبَعِينَ. عقيدةٌ سَالِـمَةٌ من التأويـل والتـعطيل، ومن التكيـيف والتمثيل. بمعنى أن صفات البارئ - تعالى - التي ظاهرها التجسيم - مما ثبت في الكتاب والسنة - كالوجه، والعين، واليد، ونحوها، وكذا ما أضافه اللَّه تعالى لنفسه من أفعال، كالاستواء على العرش، والنـزول إلى السماء الدنيا، والمجيء يوم القيامة.. ونحوها؛ كل ذلك صفاتُ ذَاتٍ وصفاتُ أفعالٍ للَّه ربِّ العالمين، نثبتها له ﷻ كما تلقيناها عنه سبحانه، أو عن رسوله ﷺ. ولكن دون محاولة تصوّرها بالتخيُّل والتعقُّل؛ لأن ذلك إنما يوقع المرء في التشبيه والتجسيم! وهو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فالكُرْسِيُّ والعَـرْشُ مثـلًا يجـب الإيمـان بوجـودهما، ثم الإيمـان باسـتواء الرحـمن على عرشه تعالى. ولا يلزم عن ذلك استحضار الذهن

لحقيقة الكرسي وكُنْهِهِ، ولا لجوهر الكرسي وهيأته، ولا لكيفية استواء الرحمن على عرشه! تمامًا كما نؤمن بالله ﷻ وبوجوده، ولا نستحضر له هيأة ولا صورة. فَعِلْمُ ذلكَ كلِّه موكولٌ إليه تعالى وحده. وهذا معنى قولهم: « إِثْبَاتُ الْمَعْنَى وتَفْوِيضُ الكَيْفِ ». قال الإمام الترمذي - رحمه اللَّه - بعد تخريج حديث تجلي الرحمن للمؤمنين يوم القيامة: « قَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ مِثْلُ هَذَا؛ مَا يُذْكَرُ فِيهِ أَمْرُ الرُّؤْيَةِ؛ أَنَّ النَّاسَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ، وَذِكْرُ الْقَدَمِ، وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الأَشْيَاءَ. وَالْمَذْهَبُ فِي هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الأَئِمَّةِ، مِثْلِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ، وَوَكِيعٍ، وَغَيْرِهِمْ؛ أَنَّهُمْ رَوَوْا هَذِهِ الأَشْيَاءَ، ثُمَّ قَالُوا: تُرْوَى هَذِهِ الأَحَادِيثُ وَنُؤْمِنُ بِهَا، وَلا يُقَالُ: « كَيْفَ؟ » وَهَذَا الَّذِي اخْتَارَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ: أَنْ تُرْوَى هَذِهِ الأَشْيَاءُ كَمَا جَاءَتْ،

وَيُؤْمَنُ بِهَا، وَلا تُفَسَّرُ، وَلا تُتَوَهَّمُ، وَلا يُقَالُ: كَيْفَ؟ وَهَذَا أَمْرُ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِي اخْتَارُوهُ وَذَهَبُوا إِلَيْهِ »[1]. فمعنى قوله: « لَا تُفَسَّرُ »؛ أي: لَا تُفَسَّرُ هيئاتُها ولا حقائقُها. وليس معناه عَدَمَ تفسير ألفاظها؛ لأن تفسير الألفاظ هو معنى إثباتها ومعنى الإيمان بها، وقد أثبته الترمذي لأهل العلم. والفَرْقُ بينهما شَاسِعٌ جِدًّا. فتفسير لفظ الكرسي مثلًا معناه القول بأن الكرسي هو الكرسي، فهذا إثباتٌ لوجوده أوّلًا، وإيمانٌ بالآية الواردة به ثانيًا. وأما تفسير الهيئة، فهو محاولة الكشف عن صورة الكرسي وشكله، وبيان جوهره، وحقيقته! وهذا ما لا يجوز شرعًا؛ إذ لم يرد به دليل من كتاب أو سنة، بل هو إقحام للعقل فيما لا طاقة له به!

وعندنا ههنا وقفة مع الذين يميلون إلى تأويل مثل هذه الآيات والأحاديث، ويُخْرِجُونَ الألفاظ

---

(١) سنن الترمذي: «باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار».

عن ظاهرها إلى معانٍ أخرى، كتأويل الكرسي بأنه السلطان أو القدرة، ونفي وجوده وحقيقته! فمشكلة هؤلاء أنهم لا يستطيعون التخلص من تداعي الصور والهيئات الدالة على التشبيه والتجسيم؛ كلما نطقوا بمثل هذه العبارات! فالفرار من هذا إلى التأويل كالفرار من الرَّمْضَاءِ إلى النار!

ألا ترى أن في ذلك من المغامرة والجرأة على اللَّه ما يعجب منه ذو لبٍّ سليم؟ إذ كيف يغامر مسلم بالقول على اللَّه: إنه كذا وكذا؟ وإن كرسيه أو عرشه كذا وليس كذا؟ وإن استواءه فوق عرشه، وعلوه فوق سماواته، إنما هو هكذا وليس هكذا؟! عجبًا! إن معنى ذلك أن هذا القائل قد أحاط علمًا بذات اللَّه وصفاته كَيْفًا وهيئةً! ومعناه أنه قد أوتي علم الكمال المطلق؛ وهذا ضَرْبٌ من ادِّعاء علم الربوبية من حيث لا يدري! فسبحان اللَّه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا! وإنما التواضع العلمي، والإيمان الحقيقي، أن يُسلِّم المؤمن للَّه

فيما وصف به نفسه، من غير تكييف ولا تشبيه، ومن غير تأويل ولا تعطيل! لأن هذا وذاك ظُلْمٌ وافْتِرَاءٌ على اللَّه! ومن أجمل ما نُقِلَ في ذلك كلامٌ للإمام محمد بن إدريس الشافعي، قال - رحمه اللَّه -: « آمَنْتُ بِاللَّهِ ، وبِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ ، وآمنتُ بِرَسُولِ اللَّهِ، وبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ »[١]. ورحم اللَّه شيخ المقاصد أبا إسحاق الشاطبي، فقد قَعَّدَ في هذا قاعدةً من ذهب! قال - رحمه اللَّه - في سياق بيان قواعد التفسير: « مِنْهَا: أَنْ يَكُونَ على بَالٍ مِنَ النَّاظِرِ والْمُفَسِّرِ والْمُتَكَلِّمِ عَلَيْهِ أَنَّ مَا يَقُولُهُ تَقْصِيدٌ مِنْهُ لِلْمُتَكَلِّمِ، والقُرْآنُ كَلامُ اللَّهِ، فَهُوَ يَقُولُ بِلِسَانِ بَيَانِهِ: « هَذَا مُرَادُ اللَّهِ مِنْ هَذَا الكَلامَ! » فَلْيَتَثَبَّتْ أَنْ يَسْأَلَهُ اللَّهُ تَعَالى: « مِنْ أَيْنَ قُلْتَ عَنِّي هَذَا؟ » فَلا يَصِحُّ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا بِبَيَانِ الشَّوَاهِدِ! »[٢].

---

(١) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي.

(٢) الموافقات: (٤/ ٤٢٣).

مسلك التخلق

وأما مسلك التخلُّق ههنا، فهو دائر على التحقق بما في آية الكرسي من مَقَامٍ عالٍ رفيع. وهو مقام «العلم باللَّه»! الذي إذا صار مَنْـزِلًا ثابتًا للمؤمن كان - إن شاء اللَّه - من أهل اللَّه وخاصَّته، وكان من الصِّدِّيقِينَ المذكورين في الملأ الأعلى!

والوصولُ إلى هذا المقام رهينٌ بالنجاح في التدرُّج إليه تخلُّقًا وتحقُّقًا، عبر المنهاج التربوي المكنون في الآية العظيمة.

وأما مَدَارِجُهُ فهي تنتصب بين يدي السالك في عشر خطوات، على وِزَانِ ما ذكرناه في بيانها العام من قواعد.

وذلك بتحويل تلك القواعد نفسها إلى خطوات عملية، تستجيب لما قصدناه بمسلك التخلُّق من منهاج تطبيقي، كفيل بتيسير التحلِّي بأخلاق القرآن وحقائقه الإيمانية. وهي:

الخطوة الأولى

في التَّحقُّق بمنـزلة الإخلاص والتوحيد

وهي خطوة تتحقَّق بمراقبة النفس على الدوام، وتصفيتها من شوائب الهوى، والخلوة إلى اللَّه بالعبادة والابتهال؛ حتى يصفو القلبُ للَّه، وللَّه وحده. ودون ذلك ما دونه من مُجَاهَدَةِ نَفْسٍ، ومُكَابَدَةِ سَيْرٍ؛ لا يزال العبد يتدرَّج بمنازله؛ حتى يفتح اللَّه له باب الرضا والقبول! وإنما مفتاحُه أَنْ لا يُقْدِمَ على عملٍ حتى يخلو له مع اللَّه خلوة، يتحقَّق فيها من إخلاص القصد وتوحيد الوجهة للَّه!

فكثير من الناس يجري ظاهره على وِزَانِ أعمال الخير والصلاح، من صلاة، وصيام، وصدقة، وحج، وعمرة، ودعوة إلى اللَّه، ووعظ، وإرشاد، لكن قلبه لا يصفو - في كلِّ ذلك أو بعضه - من أهواء العُجْبِ، وُحبِّ الصَّدَارَةِ، والشهرة، والتسميع، والتلميع!

وهذا من أخطر مُبطلات الأعمال! وهذه الخطوة لا بد فيها - على كلِّ حال - من عَزِيمَةٍ وقَرَارٍ! تمامًا كعزيمة التوبة النصوح! حتى يفتح في نفسه صفحة جديدة، يجعل فيها حياته كلها للَّه، دينًا ودعوةً. فيكون قد تحقق بمعنى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ حقًّا وصدقًا.

* * *
* *
*

الخطوة الثانية

في التعرف على اللَّه بتلقِّي اسمه الأعظم: « الحي القيوم »، ومشاهدة أسراره في العبادات والأدعية والأذكار

وهي خطوة تتحقَّق بمصاحبة هذا الاسم في السرِّ والعلن، ومشاهدة تجلياته في الكون، وتدبر آثاره في النفس والمجتمع. وإحسان التوكل على اللَّه بالاستناد إلى « الحي القيوم »، وتعميق الثقة به تعالى، ومجاهدة النفس به على إخلاص الذِّكْرِ للَّه والدعاء، والالتجاء إليه وحده تعالى في العسر واليسر، من باب « الحي القيوم »؛ ودعائه به رَغَبًا ورَهَبًا.

والاستغاثة به سبحانه عند الضيق بنداء: « يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ! » ثلاث مرات على الأقل.

ويجوز الدعاء بها في السجود. وحيثما كان

العبد في السفر والحضر، رَاكِبًا أو مَاشِيًا أو قاعدًا أو راقدًا.

ويَشْهَدُ اللَّه أنني ما دعوتُ بها مُخْلِصًا في ضَيْقٍ قَطُّ إلَّا جاءَ اللَّهُ بِالْفَرَجِ!

وقد سبق حَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ فيها، قَالَ: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ؛ قَالَ: « **يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ!** »[1].

* * *
* *
*

(١) رواه الترمذي. وحسنه الألباني في صحيح سننه، وفي السلسلة الصحيحة، وصحيح الجامع، وصحيح الكلم الطيب.

الخطوة الثالثة

التعرف على اللّه من
خلال صفة القَيُّومِيَّةِ الدائمة، التي
لا تضطرب بِسِنَةٍ، ولا تنقطع بنوم!

ومعنى ذلك تحصيلُ اليقين بأنَّ اللَّهَ ﷻ مُسْتوٍ عَلَى عرشِه أبدًا، يُدَبِّرُ أَمْرَ مملكتِه سَرْمَدًا.

وهو في ذلك يراك حيث أنت، يَعْلَمُ أمرَكَ كله، ويسمع نَجْوَاكَ! لا يخفى عليه شيءٌ من همِّك، أو حاجتك، أو مظلمتك!

فهو تعالى القَيُّومُ القائم على شؤون العالمين رِزْقًا، ورعايةً، وقضاءً للحاجات، يسمع هذا وذاك، ويجيب كل سائل ومستغيث، من كل أمم المخلوقات في الأرض وفي السماء، ومن جميع أجناسها وأنواعها.

لا يشغله شيء عن شيء سبحانه، ولا يملؤه دعاء عن دعاء، ولا يحجزه تدبير عن تدبير! بل

يقضي كل شيء، ويسمع كل شيء، ويدبر كل شيء، ولا يحيطه مكان أو يفوته زمان! سبحانه ﷻ هو فوق الزمان وفوق المكان!

فمن عرف اللَّه بهذا في دعائه وعبادته؛ فتح عليه اللَّه من كنوز بركاتِه، وأسرارِ العلمِ به؛ ما يجعله من الصِّدِّيقِينَ إن شاء اللَّه!

* * *
* *
*

الخطوة الرابعة

التعرف عليه سبحانه من خلال عَظَمَةِ مُلْكِهِ وامتداد ملكوته

فهو اللَّه الذي ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١١٦].

فههنا يشاهد العبد عظمة خزائن الرحمن، وكثرة كنوزه، وغزارة أرزاقه، مما في أرضه وسماواته؛ بما لا يحصيه عَدٌّ ولا يحصره خيال! فَيُسْنِدُ كُلَّ شَيْءٍ للَّه.

ويرى الخلقَ - كُلَّ الخلقِ - فقراءَ إلى اللَّه، لا حول لهم ولا قوة إلا باللَّه! وأن الأموال في يد الأغنياء والأثرياء مجرد عارية!

ويرى حقيقة أن المال مال اللَّه والبشر مستخلفون فيه؛ فَسَالِكٌ وهالك!

وهذا المعنى العظيم هو من كمال توحيد الربوبية، وعنه ينتج في القلب توحيد الألوهية

الخالص، حيث يتمتع المؤمن بصفاء القلب للَّه.

فطبيعة هذه الخطوة راجعة إلى أن التحقق بهذا الاعتقاد والتخلُّق به؛ يمنح القلب كمال الثقة باللَّه، وجمال الطمأنينة على ضمان الأرزاق والحاجات! والشعور العميق بسعادة الغِنَى العالي باللَّه! ومقامًا عظيمًا من المعرفة باللَّه.

* * *
* *
*

الخطوة الخامسة

في مشاهدة عظمة كبريائه، وتفرُّده بأمره

لا يتدخل أحد في شأنه، ولا مكان عنده للشفعاء إلا بإذنه: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾.

وهذا وجه آخر من وجوه عظمته ﷻ، كاشفٌ لضعف الخلق كلهم تحت جلال سلطانه، وعظمة كبريائه وجبروته! فلا وَسَائِطَ وَلا وَجَاهَات! ولا استثناءَ ولا شفاعات؛ إلَّا مِنْ بَعْدِ إذنه!

وقد رأيتَ في حديث الشفاعة قَبْلُ كيف هَابَ آدمُ عليه السلام مَقَامَ رَبِّهِ، ولم يستطع الشفاعة للخلق عنده، وكان مما قال: « إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ! وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ! نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ! ».

لكن نُوحًا عليه السلام قال مثل قوله ثم قال: « اذهبوا إلى إبراهيم! » فقال إبراهيم مثل ذلك.

وأرسلهم إلى موسى! فقال مثل قولهم.

ثم أرسلهم إلى عيسى، لكنه قال مثل ما قالوا جميعًا، - عليهم الصلاة والسلام -.

ثم أرسلهم إلى محمد ﷺ.

فسجد النبي ﷺ تحت العرش ولم يرفع رأسه حتى أُذِنَ له بالشفاعة! ولا يشفع إلا لمن أَذِنَ اللَّه فيه!

فالأمر للَّه جميعًا، لا إله إلا هو!

وهذه عقيدةٌ من تحقَّق بها عِلْمًا وعَمَلًا، كان مُوَحِّدًا للَّه على كمال التوحيد والإخلاص! وارتقى في طريق السير إلى اللَّه إلى مقام أعلى من العلم باللَّه والخشية له!

* * *
* *
*

الخطوة السادسة

في التعرف عليه تعالى من
خلال علمه الشامل، المحيط بكلِّ خلقه

وهذا وجه آخر من وجوه عظمته تعالى، وكنـز آخر من كنوز آية الكرسي: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

فلا أحد يستطيع إخفاء شيء عن اللَّه، من خاطرة، أو نية باطنة، أو حيلة أو خيانة أو غدر... إلخ.

فلا خَطْرَةَ نفسٍ، ولا طَرْفَةَ عين، إلا وهو يعلمها جَلَّ جَلالُه.

فمن عاملك من الناس بنية خائنة لا تعلمها، وأنت معه من الصادقين؛ فاعلم أن وَكِيلَكَ اللَّه!

الذي ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فهو تعالى كَاشِفُهُ لكَ اليومَ أو غدًا! وكان - إن لم يتب إلى اللَّه - من الخاسرين!

وإن اللَّه تعالى بما وَثِقْتَ به، وتوكلتَ عليه بهذا الاعتقاد؛ لن يُسْلِمَكَ إلى عدوك أبدًا، وكان تعالى لك ناصرًا!

وقد ثَبَتَ أنه: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

فالإيمان بشمولية علم اللَّه، والعمل بمقتضاه، كما هو مُبيَّن في آية الكرسي؛ مستجلب لتأييد اللَّه ونصره.

وهو قبل ذلك وبعده، حامل للنفس على التخلُّق بمقام الخشية العظيم، الذي هو مقام العلماء باللَّه.

والخطوة العملية من هذا تقتضي استحضار صفة العلم الإلهي في النفس أبدًا، وتذكيرها بأنه تعالى ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ ﴾، حقيقة تعيشها النفس، ويتدبَّرها القلب، وتتغذَّى بها الروح؛ فترتقي بمعراج المعرفة باللَّه ما شاء اللَّه!

الخطوة السابعة

في تحقيق الإيمان
بامتناع علمه واحتجاب سرِّه

وهذا من أعظم الكنوز! وهو مكنون تحت أنوار قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾.

وهذا إضافةً إلى ما فيه من بيان سَعَةِ عِلْمِ اللَّه؛ فيه بيانٌ لاختصاصه به تعالى وامتناعه عن خَلْقِهِ.

وهذا مفيد في تحقق العبد بالتوحيد الكامل؛ حيث لا يُصَدِّقُ شيئًا من أمر الكهنة والعرافين، وسائرِ الدَّجَاجِلَةِ والمشعوذين، كما حرَّرناه في البيان العام.

وفي هذا راحةٌ للقلب، وتزكية للنفس، وتقوية للشخصية، وترقية للإيمان، وعُمْرَانٌ للروح بنور اليقين.

فهذه الخطوة عقيدةٌ عظيمةٌ تتحقق للعبد بإسناد العلم كله للَّه، والحذر من الوقوع في شِرْكِ الدجاجلة، ومُدَّعِي الولايةِ وكشفِ الغيوب، من جَهَلَةِ المتصوفة وزنادقتهم.

* * *
* *
*

الخطوة الثامنة

في مُشَاهَدَةِ سَعَةِ سلطان
اللَّه العظيم، وهَيْبَةِ مُلْكِهِ القديم،
وإحاطته بالعالمين، وقهره تعالى للخلق أجمعين

وهذا أيضًا وَجْهٌ آخر من وجوه عظمة اللَّه. مكنونٌ تحت نور قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

وهو إضافة إلى ما فيه - مما سبق بيانه - من سَعَةِ علمه، وعظمة سلطانه، وقدرته على جميع خلقه، وقهره لعباده، وأنه لا أَحَدَ بمقدوره الفرار من قبضته؛ فيه أيضًا بيانُ أَنَّ كُلَّ مُلْكٍ في الأرض مما يُنْسَبُ إلى البشر مُلْكٌ زائفٌ، وسلطانٌ وهمي! وأن كلَّ كرسي أو عرش سيتحطم في النهاية لا محالة! وأنما الْمُلْكُ - كُلُّ الْمُلْكِ - للَّه الواحد القهار! وأن الخَلْقَ - كُلَّ الخلقِ - خاضعون لحكمه، مقهورون بقدرته. فالملوك والأمراء،

والقادة والرؤساء، كلهم جميعًا عَبِيدٌ خاضعون قهرًا لجلاله! فلا تَظُنَّنَّ أحدًا - مهما عَظُمَ شأنه - بمنأى عن سلطان اللَّه!

بل الخلق كلهم في قبضته، والحوادث كلها تجري بِقُدْرَتِه، لا يقع شيءٌ إلا بإذنه، ولا تسقط مِنْ ورقةٍ إلا بعلمه، ولا تخطو نملةٌ في غَسَقِ الليل إلا تحت نظره!

هو وحده الْمَلِكُ الْمُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجبار، لا إله إلا هو الواحد القهار! لم يزل مستويًا على عرشه، يُدبِّر أمر مملكته، فهو الْمَلِكُ الذي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

فمن تخلَّق بهذا الإيمان، وتحقَّق بخطوته، وشَهِدَ حقيقته بقلبه، وهو يسير إلى اللَّه رَغَبًا ورَهَبًا؛ تنـزلت عليه السكينة والأمان، وكان من المحروسين باللَّه.

* * *
* *
*

الخطوة التاسعة

في مشاهدة عدم عجزه تعالى عن حفظ مُلْكِهِ، وصيانة ملكوته

وهو سِرٌّ عظيم، ونورٌ كريمٌ، مَكْنُونٌ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾.

فمن تحقَّق بهذا المعنى إيمانًا به واستيقانًا؛ انكشف له من نور الثقة باللَّه؛ ما يجعله على أعلى منازل التوكل عليه والاعتماد!

فالتوكل على اللَّه لا يتخلَّق برسمه، على كمال حقِّه وتمام شرطه، إلا العلماءُ باللَّه، العارفون به - جلَّ جلاله وعُلاه -! الموقنون بقدرته تعالى على حفظ خلقه، ورعايةِ مُلْكِهِ وملكوته.

وهذا قول يقال، ومعلومٌ من ظاهر المقال؛ لكنَّ شُهُودَهُ في النفس حقيقةً، والرُّقِيَّ بِمَدَارِجِ مِعْرَاجِهِ، في مسلك السير إلى اللَّه؛ سِرّ لا يكشفه اللَّه إلا لمن آمَنَ يقينًا بِمَكْنُونِهِ، وعَمِلَ علَى وِزَانِ

مضمونِه! فثبتت قَدَمَاه على طريق الإيمان، لا تَثْنِي عَزْمَهُ النوائبُ، ولا تزعزعه المصائب، ولا يُشَكِّكُهُ في قدرة اللَّهِ ونُصْرَتِهِ حِجَابٌ حَاجِبٌ!

* * *
* *
*

الخطوة العاشرة

في العلم بصفة العلو في ذاته، وعظمة الشأن في سلطانه

وهو من مكنون قوله تعالى في ختام آية الكرسي: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

فتؤمن أن اللَّه جَلَّ جَلَالُهُ قد تعالى عن خلقه، وتعاظم فوقهم بذاته. تَقْصُرُ عن وصفه الكلمات، وتعجز عن تعريفه العبارات!

فهذه الجملة الخاتمة للآية، هي في الحقيقة فاتحةٌ لِمَا لا ينتهي من الكمالات، ولِمَا لا يَنْحَدُّ من السياحات والتجليات!

فكلما تحقَّقتَ بمقام إيماني من مقامات: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، وكلما تَلَقَّيْتَ عنها من علم رباني، وكلما ارتقيتَ بمنازلها، أو عَرَجْتَ بِمَعَارِجِهَا؛ شَاهَدْتَ المنازلَ فوقك أرفع وأبهى! ووجدتَ المقام الرباني أعظم وأعلى! وما

أمكنك إلا أن تقول كما قال رسولُ اللّه ﷺ في مناجاة ربِّه: « لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ! أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ! »[1]

وهذا غَايَةُ العلم باللّه، ومنتهى المعرفة به!

وبذلك يزيدك اللّه من فضله، ويَكْلَؤُكَ بعينه، ويحفظك بأمره، ويحرسك بجنده، ويُقَدِّسُكَ بِسِرِّهِ! وتكون قد ارتقيت إلى مقام العلم به على وِزَانِ مَعَارِجِ آية الكرسي.

* * *

ذلكَ بَعْضُ بَرَكَاتِ هذه الآيةِ العظيمة، مَنْ سَلَكَ مِنْهَاجَهَا، واسْتَمْسَكَ بحقائقها ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فَلْيَجْنِ بعدها من بُسْتَانِ وِلاَيَةِ اللّه ثمارَ الْهُدَى والسَّلام! فمما جاء بعدها: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فهذا

(١) رواه مسلم.

منشور الولاية، وهو ثمرة آيَةِ الكرسي، لمن تَخَلَّقَ بحقائقها، وكَابَدَ خطواتها، ثَابِتَ القَلْبِ، عَالِيَ الهِمَّةِ، مَتِينَ العزيمةِ، لا يَفْتُرُ عن مجاهدةِ نَفْسِهِ في طريق اللَّه! فيا أيها العبد المتلقي لجلالها وجمالها! هنيئًا لكَ العِلْمَ باللَّه! وهنيئًا لكَ وِلاَيَةَ اللَّه! وإنما الموفَّق من وفَّقه اللَّه.

فاللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ. أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ. أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ - وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ - اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ! اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ! أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ!

* * *
* *
*

السِّيرَةُ الذَّاتِيَّةِ لِلْمُؤَلِّف

فريد الأنصاري.

- ولد بإقليم الرشيدية، جنوب شرق المغرب سنة (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

- حاصل على دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه، من جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب - المحمدية، المغرب.

- حاصل على دبلوم الدراسات العليا « دكتوراه السلك الثالث » في الدراسات الإسلامية، تخصُّص أصول الفقه، من جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط.

- حاصل على دبلوم الدراسات الجامعية العليا (نظام تكوين المكونين) « الماجستير » في الدراسات الإسلامية، تخصُّص أصول الفقه، من جامعة محمد الخامس، كلية الآداب، الرباط.

- حاصل على الإجازة في الدراسات الإسلامية من جامعة السلطان محمد بن عبد اللّـه، كلية الآداب، فاس، المغرب.

- عضو المجلس العلمي الأعلى للمملكة المغربية.

- رئيس المجلس العلمي المحلي بمكناس.

- عضو اللجنة العلمية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة السلطان المولى إسماعيل.

- عضو مُؤسِّس لمعهد الدراسات المصطلحية، التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة السلطان محمد بن عبد اللّه بفاس.

- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

- رئيس سابق لشعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب، جامعة السلطان المولى إسماعيل بمكناس، المغرب، لسنوات: (٢٠٠٠ - ٢٠٠١م إلى ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م).

- أستاذ زائر بدار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا بالرباط لسنتي: (٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م إلى ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م).

- أستاذ بمركز تكوين الأئمة والمرشدات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط.

- رئيس وحدة الدراسات العليا: (الاجتهاد المقاصدي: التاريخ والمنهج)، بجامعة السلطان المولى إسماعيل بمكناس.

- وأستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة بالجامعة نفسها.

- ثم أستاذ كرسي التفسير بالجامع العتيق لمدينة مكناس.

صدر له من الدراسات العلمية:

١ - الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مطبعة الكلمة، مكناس/ المغرب، ط. الأولى (٢٠٠٧م).

٢ - بلاغ الرسالة القرآنية، دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠٠٩م).

٣ - التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠١١م).

٤ - جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح، دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠٠٩م).

٥ - الدين هو الصلاة والسجود للّـه باب الفرج، دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠١٠م).

٦ - سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة، دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠١٠م).

٧ - الفطرية: بعثة التجديد المقبلة، من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠٠٩م).

٨ - قناديل الصلاة «كتاب في المقاصد الجمالية للصلاة»، دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠٠٩م).

٩ - كاشف الأحزان ومسالح الأمان، دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠١٠م).

١٠ - مجالس القرآن: مُدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقِّي إلى البلاغ (ج١). دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠٠٩م).

١١ - مجالس القرآن: مُدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقِّي إلى البلاغ (ج٢). دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠١١م).

١٢ - المصطلح الأصولي عند الشاطبي: (أطروحة دكتوراه)، دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠١٠م).

١٣ - مفاتح النور: دراسة للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لبديع الزمان النورسي، نشر مركز النور للدراسات والبحوث بإستنبول بالاشتراك مع معهد الدراسات المصطلحية بفاس، مطبعة نيسل بإستنبول، ط. الأولى (٢٠٠٤م).

١٤ - مفهوم العَالِـمِيَّة، دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠٠٩م).

١٥ - ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى اللَّه. دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠١١م).

١٦ - هذه رسالات القرآن فمن يتلقَّاها؟ دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠١١م).

ومن الأعمال الأدبية:

١ - آخر الفرسان: رواية، نشر دار النيل، إستنبول (٢٠٠٦م).

٢ - جداول الروح: شعر مشترك مع الشاعر المغربي عبد الناصر لقاح، مطبعة سندي، مكناس (١٩٩٧م).

٣ - ديوان الإشارات، طبع دار النجاح الجديدة، منشورات الدفاع الثقافي بالمغرب (١٩٩٩م).

٤ - ديوان القصائد: شعر، دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠١١م).

٥ - كشف المحجوب: رواية. دار السلام، القاهرة، ط. الأولى (٢٠١١م).

٦ - الوعد: شعر، مطبعة أنفوبرانت، فاس (١٩٩٧م).

هذا، وقد توفاه اللّـه تبارك وتعالى يوم الجمعة

(١٨ من ذي القعدة ١٤٣٠هـ) الموافق (٦/ ١١/ ٢٠٠٩م).

ملحوظة: تُطلب جميع كتب المؤلف في طبعاتها الجديدة والمنقحة، من

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بالقاهرة، ووكلائها في العالم العربي

***

رقم الإيداع ٢٠١٢/٤٧٣١

الترقيم الدولي I. S. B. N 978 - 977 - 214 - 031 - 2